Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطفل، في كل مرحلة من مراحل نموّه يتكلّم لغةً خاصةً به تتلاءم مع نموّه ومع لغة محيطه. فهو لا يتكلّم باستعمال جمل الكبار مثلاً، بصورة مختزلة، بل يتكلّم في الواقع لغةً تتلاءم ومراحل نموّه الطبيعي. وقد توصّل باحثون لغويّون يعملون، كلٌ من جهته، على دراسة لغة الأطفال، إلى نتائج تكاد تكون واحدة، بالرغم من اختلاف اللغات التي يدرسونها، وبالرغم من المسافات الجغرافية التي تفصل بين المجتمعات التي تجري فيها الدراسات. مما يتبيّن أنّ الحالات اللغوية المتلاحقة خلال النمو اللغوي تتمايز في ما بينها، وبالإمكان التعرّف عليها.

قلنا إنّ الحالة اللغوية الأوّلية هي بمنزلة دالّة تسقط الخبرة على الحالة النهائية. والخبرة هنا هي جملة تعرُّضات الطفل للكلام الذي يسمعه في محيطه، أي لمجموعة من الجمل صادرة عن الأداء الكلامي لأفراد محيطه، فهي تنحرف، بالتالي، عن الكفاية اللغوية فتكوّن جملاً منحرفة عن القواعد. مع ذلك يكتسب الطفل الكفاية اللغوية خلال نموّه اللغوي، فالطفل الذي يتفاعل مع مجموعة جمل محدودة جدًّا وغير تامة وغير صحيحة يتوصّل، في الواقع وفي وقت قصير جدًّا، إلى استنباط قواعد لغته، وإلى تطوير معرفةٍ معقّدة جدًّا لا يمكن استنباطها فقط من معطيات الخبرة. فهو ينمّي معرفة غنيّة من خلال معطيات محدودة جدًّا. ولا يتمّ له ذلك ما لم تكن لديه الحالة اللغوية الأوّلية أو البنية الأساسية الوراثية، ويقول «تشومسكي» في هذا الصدد:

«لا توجد اليوم مبرّرات للأخذ بعين الجدّية موقفاً فكريًّا يعزو تحقيق إنجاز إنساني بالغ التعقيد (اكتساب اللغة) إلى خبرة أشهر أو سنين، بدل ردّه إلى ملايين السنين من النمو، أو إلى مبادىء تنظيمية عصبية راسخة في القانون الفيزيائي، والتي تشير في نهاية المطاف إلى أنّ الإنسان هو فريد في نوعه نسبة إلى الحيوان من حيث كيفية اكتساب المعرفة»(١١).

وفي المسار التنظيري العقلاني نفسه، يتبين لنا أنّ «تشومسكي» ينتقد بشدة المذهب السلوكي الذي يذهب إلى القول إنّ اللغة سلسلة وحدات قائمة على العادات الكلامية، ويتم اكتسابها عبر أساليب تشريطية وتعميمية. فالإنسان في حقيقته يختلف عن الحيوانات التي أجرى عليها السلوكيّون تجاربهم واختباراتهم من حيث إنّ لديه ملكة عقلية مميّزة تكوّن كفايته اللغوية. وكفاية الإنسان اللغوية كما سبق أن أشرنا إليها، حقيقة عقلية تكمن وراء السلوك الكلامي الملحوظ.

---

(١١) N. Chomsky, **Aspects of the Theory of Syntaxe**, p. 59.